

الفصل الأول انحراف أهل الكتاب عن منهج الوسطية

رهبانية أهل الكتاب

نهی النبي ﷺ أصحابه عن الحدو حذو الرهبان والسير على نهج أمة النصارى والتحذير من التبتل والإنقطاع للعبادة وترك الزواج، والإنغماس في الصيام والصلاة وحياة التقشف ولبس المسوح، وتعذيب النفس بدعوي الحرص على مرضاة الله وشدة الإجتهداد في العبادة ومن خلال ما سوف نسوقه من أدلة وبراهين توضح الهاوية التي إنزلت إليها أمة النصارى من جرّاء إنحرفهم عن القصد في العبادة ومراعاة حقوق النفس البشرية التي لو هضمها الإنسان حقها لأهلك نفسه وفرط في الأمانة التي أودعها الحق تعالى فيه فلكل جارحة من جوارح الإنسان حق على المرء أن يؤديه كاملاً وكل تفریط في الحق هو مخالفة صريحة لأوامر الله ولو كان ذلك . كما يزعم هؤلاء . إستغراق في الطاعة بالكلية وإعراض تام عن الدنيا بزخرفها بل إن ذلك في الحقيقة هو إنحراف عن الشريعة، وإعراض عن الحق ومسلك جائر، وغلو وتنطع مرفوض.

معني الرهبانية

ومعني الرهبانية: التخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها^(١)

والرهبانية هي الرهينة، وأما تعريف الراهب هو المتعبد من النصارى في صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها وتجمع على رهبان.

(١) المعجم الوجيز (ص/١٧٩) مادة " رهب " . ط: مجمع اللغة العربية ١٩٩٢م، مختار الصحاح

(ص/٢٥٩) لمحمد بن أبي بكر الرازي. المطبعة الاميرية. بالقاهرة ١٩٥٣م.

كيف نشأت الرهبانية في أمة النصارى؟

قال تعالى: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " (الحديد/ ٢٦-٢٩).

قال الحافظ عماد الدين بن كثير^(١) رحمه الله تعالى:

يجبر الحق تعالى أنه منذ بعث نوحاً . عليه السلام . لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم . عليه السلام . خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال تعالى في الآية الأخرى " وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ " حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمداً صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: " ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ " وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه " وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ " وهم الحواريون " رَأْفَةً " أي رقة وهي الخشية و " وَرَحْمَةً " بالخلق، وقوله " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا " أي ابتدعتها أمة النصارى " مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ " أي ما شرعناها لهم وإنما هم إلتزموها من تلقاء أنفسهم " إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ " فيه قولان: أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله. قاله سعيد بن جبير وقتادة والقول الآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم رضوان الله.

" فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " أي فما قاموا بما إلتزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦).

الأول: الإبتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

الثاني: في عدم قيامهم بما إلتموه بما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله عز وجل.

حديث النبي ﷺ عن نشأة الرهبانية

عن عبد الله ابن مسعود^(١) عن أبيه عن جده قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن مسعود!" قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: "هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على إثنين وسبعين فرقة؟ لم ينح منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله، ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ " . ا. هـ.

عبد الله بن عباس يفسر الآية

روي ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل فقبل ملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إنهم يقرأون^(٢)

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦) سورة الحديد آية (٢٧) والحديث رواه ابن أبي حاتم من طريق

اسحاق بن أبي حمزة كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بلفظ آخر من طريق أخرى " يحيى

بن أبي طالب " عبد الله بن مسعود عن جده مسعود عن النبي ﷺ.

(٢) والمقصود بالطبع أنّ هذه المعاني والكلمات موجودة في التوراة والإنجيل كما هي موجودة في

" وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " (المائدة / ٤٤) هذه الآيات مع ما يعيروننا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرءوا كما نقرأ أو ليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدّلوا منها فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم إبنوا لنا إسطوانة ثم إرفعونا إليها ثم إعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: إبنوا لنا دوراً في الفيافي^(١) وتحتفر الآبار ونحرق الحقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى:

" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " .

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما سح فلان ونتخذ دوراً كما إتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين إقتدوا بهم^(٢) .

فلما بعث الله النبي ﷺ لم يبق منهم إلا القليل إنحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه؛ فقال الله عز وجل:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ " .

القرآن .

(١) الفيافي: الصحروات .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٧) .

عُمر بن عبد العزيز يصحح المفاهيم

دخل سهل بن أبي أمامة هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يُصلي صلاة خفيفة وقعتها كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال: يرحمك الله أرايت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته (١)؟ قال إنها المكتوبة، وإنما صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع بديار قفر باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بما وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكتهم البغي والحسد؛ إن الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني، والكف والقدم والجسد واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " (٢)

أسباب الرهبانية

لخصَّ الدكتور سفر الحوالي (٣) في كتابه النفيس " العلمانية " أسباب الرهبانية في النقاط التالية:

- ١ - عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة.
- ٢ - رد الفعل المتطرف للمادية اليهودية الجشعة والأبيقورية.
- ٣ - الأثر الذي خلفته الفلسفات والوثنيات التهريرية القانطة.
- ٤ - الأوضاع الإجتماعية القاسية.

(١) تنفلته: المقصود صلاة النقل أو النافلة وهي صلاة السنة.

(٢) رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي أنظر: تفسير القرآن العظيم (٣١٧/٤).

(٣) العلمانية (ص/٨٦-٨٩) رسالة ماجستير مطبوعة. (بتصرف شديد) " وهو من أهم المؤلفات التي صدرت في القرن العشرين في موضوعه " .

وللأسف لقد غفل الدكتور سفر عن أهم وأخطر هذه الأسباب على الإطلاق إن لم يكن هو السبب الرئيسي والحاسم في الموضوع ولولاه لما نشأت الرهبانية أصلاً ومما ذكره هي أسباب ثانوية ألا وهو: حروب الإبادة والإضهاد العظيم التي تعرّض لها المؤمنون بتعاليم المسيح من الرومان الوثنيين الكفرة عباد الأصنام والأوثان وهذا هو السبب الذي ذكره النبي ﷺ والذي وضعناه في الحديث السابق.

نظام الرهبانية (١)

- ١- العزوبة وعدم الزواج مطلقاً.
- ٢- التجرد الكامل عن الدنيا.
- ٣- العبادة المتواصلة.
- ٤- التعذيب الجنوني.

مهازل الرهبانية

قال العلامة أبي الحسن الندوي^(٢) (ت سنة ١٤٢٠هـ).

لم يقتصر الأمر على ما ذكر بل . كما هي طبيعة البدع . تجاوز ذلك إلى تصرفات جنونية تشتمز لها الفطر السليمة، إبتدعها بعض الرهبان ليعبروا عن قوة إيمانهم وعمق إخلاصهم لمبدئهم " وروي المؤرخون من ذلك عجائب فحدثوا عن الراهب مكاريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع لقرض جسمه العاري ذباب سام وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد.... وكان صاحبه الراهب يوسيبس يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نرح...

(١) العلمانية (ص/٨٩-٩٣) مرجع سابق " بتصرف وإيجاز شديد".

(٢) ماذا خسر العالم بإخضاع المسلمين (١٦٨).

وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة.

وكان بعض الرهبان لا يكتسبون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ويأكل كثير منهم الكلاً والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأنقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس.

يقول الراهب أتهينس: إنَّ الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمرة، وكان الراهب ابراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمان متلهفاً: وأسفاه لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات. ١.هـ

"وهناك راهب منعزل اخترع درجة جديدة من الورع يربط نفسه بسلسلة إلى صخرة في غار ضيق" (١)

وأما القديس كولمان فكانت السناجب تجثم على كتفه فتدخل في فلتسوته وتخرج منها وهو ساكن (٢).

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٧٣٢) هـ. ج. ويلز ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦٧م.

(٢) قصة الحضارة: (٣٦٥/١٤) ول ديورانت، ت. مجَّد بدران، القاهرة ١٩٥٧م.

وللمزيد: تاريخ أخلاق أوروبا للعلامة: ليكي. الفصل الثاني ماذا خسر العالم بلخطاط المسلمين)

ص/٢٣٨-٢٤٢) للعلامة: أبو الحسن الندوي ط. القاهرة ١٤١٠هـ.

نتائج الرهبانيّة

قال الدكتور سفر الحوالي في كتابه " العلمانيّة " (١)

من سنن الله في الكون أنّ كل مبدأ أو نظام لا يساير الفطرة البشرية فإن مآله إلى الخسران والفناء، ومصير أتباعه شقاء مطبق وضياح مرير، ولا يستطيع أحد أن يأتي بدين يوائم الفطرة إلا خالقها جل شأنه، ولذلك كان المبتدعون وواضعوا المذهب البشرية أكثر من شيء إساءة إلى الجنس البشري

وما من شك في أن الرهبانية ليست من فطرة الإنسان ولا من غايات وجوده، بل هي على النقيض من ذلك ولهذا لم يأمر بها الله ولم يشرعها " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " (الحديد/٢٧).

فهي بدعة حتى بالنسبة للذين تطوعوا بالزام أنفسهم بها مدفوعين بالحرص على رضا الله فما بالك بما بعد أن إنخرط في سلكها الفساق وطلاب الدنيا؟.

إنّ المرء لا تقع عينه على مؤلف من مؤلفات تاريخ الغرب في عصوره الوسطى إلا ويرى فيه ما يشين ويلطخ الحياة الرهبانيّة من الفضائح الشنيعة والدعارة التي لا تضارعها دعارة مواخير الفساد.

يقول رئيس دير كلوني: إنّ بعض رجال الدين في الأديرة وفي خارجها يستهترون بابن العذراء إستهتاراً يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها، بل في تلك البيوت التي أنشأها المؤمنون الخاشعون لكي تكون ملازماً للعبة والطهارة في حرمها المسور، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكاناً تضع فيه الطفل عيسى (٢).

(١) العلمانية (ص/٩٣-٩٤).

(٢) قصة الحضارة: (١٤/٣٧٢) نقلاً عن العلمانية (ص/٩٤) لسفر الحوالي.

نتائج الغلو ومجافة الفطرة عند أهل الكتاب

لقد أدى التزمّت والغلو في الدين ومغالبة الطبع السوي والفطرة السليمة إلى نتيجة عكسية تماماً وأصبحت الأديرة مباءات للفجور والفسق تضرب بما الامثلة في ذلك، وقد وصل الحال بنصارى الشرق . وربما كانوا أكثر حياءً وأشدّ تمسكاً . إلى حد أن المستهترين من الخلفاء والشعراء كانوا يرتادون الأديرة كما يرتاد رواد الدعارة اليوم بيوت العهر وألفوا في ذلك كتباً منها كتاب "الديارات" المعروف لدي دارسي الأدب العربي^(١).

قال الشيخ أبو الحسن الندوي^(٢) قدس الله سرّه :

كان نتيجة هذه الرهبانية أن خلال (صفات) الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فإستحالت عيوباً ورتائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية؛ ورغم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حناناً ورحمة، وعبؤهم من الدمع، تقسو قلوبهم، وتجمد عبؤهم على الآباء والأمهات، والأولاد يتامى، عالة يتكفون الناس، ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم من الآخرة لا يباليون ماتوا أو عاشوا وحكي العلامة ليكي في كتابه " تاريخ أخلاق أوربا" حكايات تدمع العين وتحزن القلب. ١.هـ.

(١) الكتاب من تأليف أبو الحسن الشاشيني حققه: كوركيس عواد نقلاً عن العلمانية

(ص/٩٥). ليكي.

(٢) ماذا خسّر العالم بإخطاط المسلمين (ص/٢٤٢) نقلاً عن " تاريخ أخلاق أوربا"

موقف الرهبان من المرأة

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والإجماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق والتحدث إليهن ولو كن أمهاتاً وأزواجاً أو شقيقات تحبط أعماهم وجهودهم الروحية، وروي ليكي من هذه المضحكات المبكيات شيئاً كثيراً.

هذا بالنسبة للمترهبين، أما الفرد المسيحي العادي فقد ضعفت ثقته بالدين وتزعزت في نفسه القيم والأخلاق الدينية. كيف لا وهو يري خصيان الملكوت ومثال الطهر يعرقون في الفجور وينالون من المتع الجسدية مالا يمكنه بلوغه. أما الغيورون منهم فقد إتخذوا ذلك ذريعة للإنشقاق عن الكنيسة وتكوين فرق دينية لها أديرة خاصة تبدأ أول الأمر نظيفة، لكنها لا تلبث أن تعود فتسقط فيما سقط فيه أسلافها. كل ذلك كان في الفترة التي لا تزال قبضة الكنيسة فيها قوية ونفوذها صلباً لكن المرحلة التي شهدت ضعف سلطتها فيما بعد شهدت رد فعل طاعياً ضد أغلال الكنيسة وقيودها مما جعل بذور الفلسفات الإباحية والحركات غير الإخلاقية تنمو نمواً مطرداً، وصحح الرأي القائل بأن "المسيحية نفاق منظم كما إهتمتها أجيال عديدة من النقاد العقلين المرة تلو الأخرى" أنها لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة إلى الحياة^(١).

رهبانية أمة الإسلام الجهاد في سبيل الله

لقد حذر الله تعالى بني إسرائيل من اليهود والنصارى من إنحرافهم عن الفطرة السوية والذوق السليم ومضادهم لسنن الله الكونية والغلو في الدين. فقال تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ " (النساء / ١٧١).

(١) تاريخ العالم (٤/ ٣٣٠) نقلاً عن "العلمانية" (ص/٩٥).

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي^(١)

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من خير النبوة إلى أن إتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشباعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو إرشاداً أو صحيحاً أو كذباً.

وفي هذه الإمامة سوف نظهر الفرق بين رهبانية أمة الإسلام، ورهبانية أمة النصارى من خلال عرض المفهوم الصحيح للرهبانية في الإسلام.
ولله در القائل:

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل " ^(٢)

وروي الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. أن رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك: " أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض " تفرد به أحمد.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٥٨) تفسير سورة النساء (١٧١).

(٢) رواه أحمد في المسند، والحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن المبارك بلفظه.

معنى قوله ﷺ لا رهبانية في الإسلام

ورد حديث عنه ﷺ رواه البيهقي عن سعد بن أبي وقاص قال ﷺ " لا رهبانية في الإسلام " .

قال الحافظ: ابن حجر العسقلاني (١): لم أره بهذا اللفظ، واللفظ عند البيهقي " أن الله أبدلنا بالرهانية الحنيفية السمحة " واللفظ الثاني هو الأصح، وأن كان الأول صحيحاً فهو محمول على أنه لا رهبانية في الإسلام كالتي عليها أهل الكتاب لأنها تخالف جميع الشرائع السماوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) قدس الله سره:

بعد ان أستشهد بحديث أنس بن مالك في الصحيحين عن قصة الرهط (٣) قال: والأحاديث الموافقة لهذا كثيرة في بيان أن سنته التي هي الإقتصاد في العبادة وفي ترك الشهوات خير من رهبانية النصارى التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوماً وصلاة . وقد خالف هذا بالتأويل طائفة من الفقهاء والعباد.

ومثل هذا: ما رواه أبو داود في سننه عن العلاء بن عبد الرحمن عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله إنذن لي في السياحة؟.

قال رسول الله ﷺ: " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله " .

فأخبر الرسول ﷺ بأن أمته سياحتهم الجهاد في سبيل الله، وفي حديث آخر قال

ﷺ: " إن السياحة هي الصيام " .

(١) كشف الخفا (٥٢٨/٢) الحديث رقم (٣١٥٤) . أنظر فتح الباري (٩١/٩) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص/١٠٢-١٠٤) . ط: دار المدني بجدة .

(٣) تقدم تحريجه .

" والسائحون" هم الصائمون، ونحو ذلك، وذلك تفسير لما ذكره الله تعالى في القرآن من قوله "السَّائِحُونَ" (التوبة/١١٢). وقوله "سَائِحَاتٍ" (التحریم/٥).
وأما السياحة: التي هي الخروج في البرية من غير مقصد معين، فليست من عمل هذه الأمة.

رأي الإمام أحمد في الرهبانية رحمه الله تعالى (١٦٤-٢٤١هـ)
ليست السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين، ولا الصالحين، مع أنَّ جماعة من إخواننا قد ساحوا السياحة المنهي عنها متأولين في ذلك، أو غير عالمين بالمنهي عنه، وهي من الرهبانية المبتدعة التي قال فيها النبي ﷺ " لا رهبانية في الإسلام".
١.١.هـ.

فهذا هو موضوع الشاهد هنا فمعني الحديث هنا: " لا رهبانية في الإسلام" أي:
الرهبانية المنهي عنها وهي رهبانية أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) (ت ٧٢٨م) رحمه الله تعالى:.
والغرض هنا بيان ما جاءت به الحنيفية من مخالفة اليهود فيما أصابهم من القسوة عن ذكر الله، وعما أنزل من الهدى الذي به حياة القلوب، ومخالفة النصارى فيما هم عليه من الرهبانية المبتدعة، وإن كان قد إبتلي بعض المنتسبين منا إلى علم أو دين بنصيب من هذا ومن هذا ففيهم شبه بهؤلاء وهؤلاء
ونظراً لأن النفوس " لا تترك إلا بشيء، وأن النفوس قد خلقت لتعمل لا لتترك، وإن الأنبياء بعثوا بتكميل الفطرة وتكريها لا بتبديلها وتغييرها"^(٢).

(١) إقتصاد الصراط المستقيم (ص/١٠٤) للإمام / أحمد بن عبد السلام بن تيمية.

(٢) النبوات (ص/٥٦). (بتصرف)

ولذلك فقد صرف الرسول ﷺ الصحابة عن التبتل والإنقطاع إلى العبادة والسياحة صرفهم إلى الجهاد في سبيل الله عزوجل وإلى الصيام وغير ذلك ليصرف المسلمين عن رهبانية أهل الكتاب المبتدعة ويبدل الشيء بالشيء ويعطي النفس حقها من النشاط والترويح.

هل الجهاد أو الإنقطاع للعبادة أيهما خير؟

رجال تحيا القلوب بذكر أخبارهم

وفي هذه الحكاية التي سوف نرويها نتعلم الفرق بين رهبانية المسلمين ورهبانية أهل الكتاب فقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق عبد الله بن المبارك في هذه الأبيات بطرسوس^(١)، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ١٧٠ هـ وفي رواية سنة ١٧٧ هـ يقول فيها:

يا عابد الحرمين ^(٢) لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنجورنا بدماننا - تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عيرنا	رهج السنايك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل ^(٣) الله في	أنف إمريء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد يميت لا يكذب

(١) طرسوس: مدينة تقع علي تخوم بغداد بالعراق، وهي تقع الآن في سوريا.

(٢) عابد الحرمين: لقب الفضيل بن عياض رضي الله عنه.

(٣) وفي رواية "أهل الله"، والتي أثبتناها أدق وأصوب.

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه . أي ابن المبارك . في المسجد الحرام فلما قرأه ذرقت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال: قلت: نعم! قال: فأكتب هذا الحديث كراء^(١) حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا، وأملى على الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال: هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر^(٢) وتصوم فلا تفطر؟ فقال: يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ:

" فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله، أو ما علمت أن المجاهد ليستن في طوله^(٣) فيكتب له بذلك الحسنات " (٤).

(١) كراء: أجرة.

(٢) تفتر: أي تمل وتسأم.

(٣) يستن: أي يعدو ويجري إقبالاً وإدباراً وقولهم: إستنتت الفرس أي عدت إقبالاً وإدباراً

(٤) النجوم الزهراء (١٠٣/٢) لابن تغرى بردي، طبقات الشافعية الكبرى (٢٠١/١) عبد الوهاب

السبكي. تاريخ بغداد (٢١/١). ط: السلفية بالمدينة المنورة، وهو من رواية الذهبي، وأنظر:

تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/١) تفسير الآية (٢٧) سورة آل عمران.